الخبرة الجمالية في التذوق والنقد والخلق الفني :

تتميز الخبرة الجمالية عند تذوق العمل الفني بموقف خاص مختلف عن موقفنا من أحداث الحياة وظواهرها التي تخطر في شعورنا ذلك لأننا في الخيرة العادية ننظر الى الاشياء نظرة تتميز بغرض معين فنحن نحاول أن نرتب سلوكنا ونتجه الى تحقيق أغراض معينة غير ان الموقف الجمالي في خبرة التذوق الفني يتميز بأنه موقف منزه عن الغرض وقد اكد كانت هذه الصفة عندما حاول تحديد الحكم بالجميل وميز بينه وبين الحكم على شيء بأنه لذيذ او خير على اساس أن الجميل هو ما يعجبنا على نحو منزه من الغرض .

ولقد اختلف المفكرون في طبيعة هذه الخبرة وعلاقتها بخبرة الحياة اليومية وعني كثير منهم بوصفها ومن أشهر هؤلاء الناقد الانجليزي رتشاردز الذي ذهب الى القول بأن الخبرة الجمالية لا تختلف عن أي خبرة اخرى في حياتنا اليومية غير انها تتميز بأنها أكثر نظاما وادق تركيبا من غيرها . ويفسر رأيه فيقول "اننا حين نتأمل لوحة فنية أو نقرأ قصيدة من الشعر أو نستمع الى معزوفة موسيقية لانفعل شيئاً يختلف عما نفعله عندما نذهب الى معرض الصور او حين نرتدي ملابسنا " .

ومعنى هذا الكلام ان التجربة الجمالية ليست تجربة فريدة في نوعها ، وتقوم على عنصر خاص بها بل كل ما تتميز به هو تآلف العناصر التي تتركب منها بواسطة الجمال الذي يحول فوضى الدوافع المنفصلة الى استجابة منظمة ، فالخبرة الجمالية يتخلص معناها في قدرتها على التنسيق بين الدوافع المتصارعة عند الانسان الامر الذي يولد في النهاية لذة وتوازنا هما اللذان يحدثان تلك النشوة الجمالية ، وقد توصل ارسطو قديما لهذا التفسير عندما قال بالتطهير ورأى فيه غاية فن التراجيديا .

ويقترب الفيلسوف الامريكي جون ديوي من هذا الرأي حين لا يرى فارقا في النوع بينهما وبين الخبرة اليومية بل الفرق بينهما عنده مجرد فارق كمي ولما كان ديوي هو فيلسوف

الخبرة جعل منها اساساً في فلسفته _ وخلاصة رأيه في الخبرة الجمالية أن أي خبرة إنما هي تفاعل يتمم بين الكائن الحي والبيئة غايته اشباع حاجاته وإذا كانت الخبرة ناجحة بحيث ارتبطت بسياق يصل بين ذكريات الماضي وتوقعات المستقبل فهي الخبرة في معناها الأتم .

على هذا النحو يرى ديوي في الخبرة الجمالية عملية تستغرق زمنا معينا أو هي كما يقولون لها وحدة مستمدة من أنها حاضر بهيج له مستقبل أو كما يقول ارسطو عن المسرحية أنها كل واحد ولكن لها بداية ووسط ونهاية أي أن لها صفة زمانية .

كما يرى ديوي ان الخبرة الجمالية لا تستمد من المتاحف والمعارض والمكتبات وإنما توجد الخبرة الجمالية في سياق الحياة اليومية والعملية ، فكل خبرة عادية سواء كانت عملية ذهنية أو هي مجرد اداء عمل يدوي ناجح لها طابع جمالي ويستشهد ديوي على هذا الرأي بلإغريق الذين كانوا يصفون السلوك الاخلاقي بأنه جميل .

كما يرى ديوي ان خصائص الخبرة الجمالية تقترب من خصائص الخبرة العادية ، ففي الخبرة العادية يسير الانسان على اساس ارتباط العلل بالنتائج فنراه ينظم سلوكه تنظيما يحقق به النتائج التي يرغب فيها فهو ينظم عالمه وبيئه وفقا لحاجاته وكذلك يحدث تنظيم مماثل في نشاطه الفني فهو في العمل الفني يعيد تنظيم المادة تنظيما يحقق له في النهاية رضا ولذة جمالية .فالتنظيم والتأليف بين عناصر الموضوع هما من اهم عوامل أحداث الطابع الجمالي لأي خبرة وهما في الخبرة الجمالية اوضح من اي خبرة اخرى والفنان بمزاولته عمله الفني يعيد تنظيم وتوضيح وتبسيط المادة وكذلك المتذوق للفن يشارك الفنان في هذا العمل لأنه يعيد في ذاته عملية هذا التنظيم والتأليف لأنه لا يقف عند حد التذوق السلبي ولكنه يعيد تقدير ما حققه الفنان من تصميم وتنظيم .ويؤكد ديوي الفارق المميز للخبرة الجمالية فيقول إننا لا نجد لها نظيرا في الحياة العملية لأن أحداث الحياة العملية ليست مرتبة ترتيبا متآلفا كما يحدث أن نجده بين أجزاء الخبرة الجمالية .

فالخبرة الجمالية من وجهة نظر ديوي هي خبرة إنسانية وهي ظاهرة اجتماعية وأنها ليست مقطعة الاوصال عن سائر خبرات الحياة غير أن كثيرا من النقاد المعاصرين يذهبون الى العكس حين الخبرة الجمالية لها طابع خاص يجعلها ذات نوعية مختلفة عن كل خبرات الحياة العملية .